

# إسبانيا واستغلال الموارد الطبيعية في شمال المغرب بين الرغبة الاستعمارية وضعف موارد المنطقة الخليفية منطقة اللوكوس نموذجًا (١٩٥٦-١٩١٢)

**وليد موحن**



باحث في سلك الدكتوراه (التاريخ الحديث والمعاصر)  
 كلية الآداب والعلوم الإنسانية - المحمدية  
 جامعة الحسن الثاني - المملكة المغربية

## مُلخص

لا مناص أن غاية كل استعمار تتجلي في الاستفادة من خيرات المستعمرات، في كافة المرافق والتجليات منذ بداية هذه العملية الاستيطانية الكونية، ولم تكن إسبانيا بعيدة عن هنا المنحى في استعمارها لشمال المغرب، بل كانت تربو بشكل أساسى استغراق ما اكتنلت المنطقة الخليفية من ثروات ظاهرية وباطنية، على الرغم أنها لم تكن تملك نفس الآليات والتقنيات والدراسات التي بلورتها فرنسا الجارة في الاستعمار المغربي، والتي استعمرت المنطقة السلطانية، واستغافتها بصورة قوية، كما توضح الكتابات الفرنسية، والأطروحات المغربية، وبما أن إسبانيا لم تكن تمتلك نفس المقومات، فإنهما لم تجن من هذا الاستعمار سوى الفتن. وقد أرثناها التركيز على منطقة جغرافية محددة هي منطقة اللوكوس، من أجل النفاد إلى ميكانيزمات الاستغلال الاستعماري الإسباني في منطقة عرفت نسبياً مقارنة بالمناطق الأخرى الجبلية والريفية بثرائها وخصبها أراضيها وبمواردها السمكية، والتي عملت الدولة الإسبانية على استغراقها بشكل مفرط أثر على موارد نهر اللوكوس في مراحل ما بعد الاستعمار، ومن أجل تسهيل هذا الهدف والمرام، فقد عملت إسبانيا على مد السكك الحديدية، وتوجه الموانئ البحرية، وتوفير المعدات اللوجستيكية من أجل ضمان مستدام للعملية، غير أن قلة موارد الدولة الإسبانية، وأور العمليات العسكرية المشتعلة في المنطقة وقف حائلاً أمام إتمام العملية وفق المخطط المرصود لها من طرف ساسة مدير الدين الذين كانوا يطمعون في خيرات المنطقة من أجل الهاء الرأي العام الإسباني الذي كان في غالبيته ناقماً على هذه الجماعة الإسبانية على شمال المغرب.

## بيانات الدراسة:

### كلمات مفتاحية:

إسبانيا؛ شمال المغرب؛ الاستغلال الاستعماري؛ منطقة اللوكوس

٢٠٢٠ | تاريخ استلام البحث:  
 ٢٢ مايو | تاريخ قبول النشر:

DOI | 10.21608/KAN.2020.167796

### معرف الوثيقة الرقمي:

## الاستشهاد المرجعي بالمقال:

وليد موحن. "إسبانيا واستغلال الموارد الطبيعية في شمال المغرب بين الرغبة الاستعمارية وضعف موارد المنطقة الخليفية: منطقة اللوكوس نموذجاً (١٩٥٦-١٩١٢)". - دورية كان التاريخية. - السنة الثالثة عشرة- العدد الثامن والأربعون، يونيو ٢٠٢٠. ص ٤٠ - ١١٠.

## مقدمة

عرف البحث التاريخي تطويراً في المناهج والطرق وأضحى البحث فيه يلامس عدة جوانب ومناجي لم يخترقها الدارسين من ذي قبل، وفي هذا المضمار سلف الباحثون في تاريخ الحماية في المنطقة الشمالية، على البحث والتقصي في مراحل الكفاح المسلح والتركيز على الحركة الوطنية والإسهام في الحديث على المعطيات السياسية ونشأة الأحزاب الوطنية، ولم يتحدثوا إلا لماً على الأوضاع الاقتصادية والواقع الاجتماعية خاصة في المنطقة الخليفية<sup>(١)</sup> التي لم تأخذ حقها من البحث، وما زالت عدة من قضاياها منجماً بكرأ في حاجة إلى من يخترق لمامها، ويكشف مكنونها، وفي هذا الصدد اخترنا البحث في موضوع استغلال الموارد الطبيعية بشمال المغرب على عهد الحماية الإسبانية بمنطقة اللوكوس<sup>(٢)</sup> نموذجاً برغم من عوز المادة المصدرية وقلة الأبحاث التي تميّط اللثام حول واقع الاستغلال الاستعماري الإسباني.

لا مناص أن غاية كل استعمار هي النفاد إلى البلد المستعمر، من أجل الاستفادة من خيراته، ونهب ممتلكاته، والانتعاش من موارده، خاصةً زمن الاستعمار الإمبريالي الذي عرفه العالم منذ القرن التاسع عشر الميلادي، الموجه من طرف المتربولات الاستعمارية، والتي انطلقت في شمال إفريقيا بصفة جلية بعد الاحتلال الفرنسي الغاشم على الأراضي الجزائرية سنة ١٨٣٠م.

وإن كانت فرنسا قد عرفت مدرسة استعمارية كبرى لها أهداف وغايات ومرامي، نظمتها بفعل رحلاتها الاستكشافية، وتنظيماتها الجغرافية، ودرابة قادته العسكريين في الجزائر والهند الصينية، فإن الدولة الإسبانية-موضوع الدراسة-لم يكن لها نفس البعد والقوى، بل أنها كانت منهكة، حيث كانت إسبانيا نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تعاني من تمزق سياسي وانهيار اقتصادي وتراجع اجتماعي ثقافي، حتى أضحى بلادهم خارج التحولات التي كانت تعرفها أوروبا والساحة الدولية آنذاك. فقد كانت إسبانيا مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مثقلة ومتعبة تقلصت إمبراطوريتها وضعف حالها وأمامها التاريخ يجري والعالم حولها يتقدم ولا بد لها من مسيرة الراكب إن أرادت العيش والبقاء<sup>(٣)</sup>.

إذ بسبب ذلك اضطربت الكثير من القطاعات الاقتصادية المرتبطة بالتجارة مع المستعمرات وافتقدت الدولة الكثير من الموارد التي كانت تحقق بواسطتها توازناً مالياً فدخل الاستعمار والإمبريالية الإسبانية مرحلة حرجية جدًا بسبب التنافس الشديد

بين الدول الاستعمارية حول ما تبقى على المائدة الاستعمارية.<sup>(٤)</sup> فلم يكن من بد لإسبانيا سوى تصريف أنظارها نحو المنطقة الشمالية، من أجل الاستفادة من مواردها الطبيعية، والهاء الرأي العام الإسباني عن المشاكل الداخلية المستعصية.

وانطلاقاً من ذلك يحق لنا طرح الإشكالات التالية: ما هي مصادر المعرفة الإسبانية بخصوص المنطقة الشمالية قبل الاستعمار؟ هل حقاً وجدت إسبانيا في المنطقة الشمالية وخاصةً منطقة اللوكوس مرتعًا من أجل الاستفادة من الموارد الطبيعية؟ وما طبيعة هذه الاستفادة وهل حققت النتائج المرجوة منها؟ وما أهمية منطقة اللوكوس في المخطط الاستعماري الإسباني؟

## أولاً: شمال المغرب في المخطط الاستعماري الإسباني

من البديهي القول إن إسبانيا لم تكن بنفس المكانة الاستعمارية، بل لا يمكن اعتبارها قوة إمبريالية، بحيث لم تحصل على المنطقة الشمالية إلا لدوافع استعمارية أملتها المصالح الإنجليزية، المتحضنة في ضيق جبل طرق بوابة المستعمرات الإنجليزية. لقد انطلق البحث الجغرافي حول المغرب بشكل مبكر وتنعد رحلة على باي العباسى من بوادر الرحلات التي كانت لها نوازع ورغبات استعمارية تربو السيطرة على المغرب، وتبين قيمته الجغرافية، ومكانة موارده الطبيعية. ولن يغيب على المتمعن في نص الرحلة كونها سفارية علمية في أساسها، وأن الهاجس السياسي لم يكن له من أهمية سوى التمويه على المركز السياسي بمدريد بحثاً عن الدعم المالي، بل إن القراءة الناقدة لتكشف عن افتئانه بالمغرب، وولعه بطبيعته، وتقديرًا لعاداته وتقاليده، وإجلال لدينه، لدرجة يكاد ينفي معها وهم التجسس الذي أشيع عن صاحب الرحلة، وإن كان على باي لم يتخلى عن انتقاد نظام الحكم المستبد، والأحوال الاجتماعية المتردية، وخصوصاً الاضطهاد الذي كان يكابده اليهود<sup>(٥)</sup>.

والواقع أنه يصعب علينا التمييز في هذه الرحلة، بين الغث والسمين بين الحقيقة والخيال، بين الصدق والكذب في مشروع الهيمنة الوارد في الرحلة المومأ إليها.<sup>(٦)</sup> ولم تنجح هذه الرحلة برغم كونها تركت معطيات جزلة وذات بال، غير أنها لم تكن كافية من أجل رسم صورة متكاملة على المنطقة الشمالية ومواردها التي كانت تسهل لعب الإسبان، خاصةً منهم التيار الأفريقياني<sup>(٧)</sup> الذي كانت تحذوه رغبات جامحة من أجل السيطرة

وقد استأثرت هذه المنطقة بدراسات وافية تستجيـلـ قيمتها، ولعل من أهمها: بحث لوكاس فرنانديث نافارو الصادر مع بزوج عهد الاستعمار سنة ١٩١٢، والموسوم "معادن شمال المغرب" وهو عبارة عن جرد طويل لمعادن المنطقة، كان لكتابات السكان دور في النفح فيها، من ذهب وفحم الليغنيـتـ والجـرـيـ، وـذـلـكـ في إطار فـكـرةـ للمـؤـلـفـ تـسـعـ إـلـىـ القـوـلـ إنـ الاستـكـشـافـ يـضـفـيـ طـابـعـ المـنـفـعـةـ عـلـىـ اـحـتـلـالـ الـأـرـضـ.<sup>(١)</sup>

وبعد ذلك تناولت عدة تقارير جغرافية حول إمكانية المنطقة الطبيعية، حيث اجتمع خمسة متخصصين للقيام ببعثة من أجل دراسة السكان بالجهة الغربية لمنطقة الحماية، خارج الطرق التي كان يسلكها المستكشفون حتى ذلك الحين. فلوكاس فرنانديث نافارو تكلف بدراسة جيولوجيا المنطقة. أما كونستانسيو بيرنالدو دي كيروس، سيعمل على دراسة الحيوانات الاطنوغـافـيةـ فيـ المـنـطـقـةـ،ـ بيـنـماـ قـيرـنـانـدوـ مـارـتـينـتـ دـيـ لـاسـكـالـيـ،ـ سيـتـكـلـفـ بـمـهـمـةـ الـبـحـثـ عـلـىـ الـخـشـرـاتـ الـمـضـرـةـ بـالـمـنـطـقـةـ وـالـعـمـلـ كـمـتـرـجـمـ،ـ وـغـيـرـهـمـ الـكـثـيرـ مـنـ الـعـلـمـاءـ وـالـعـسـكـرـيـنـ الـذـيـ اـنـشـرـوـاـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ مـنـ أـجـلـ رـسـمـ صـورـةـ مـتـكـامـلـةـ وـمـحـيـنـةـ حـوـلـهـاـ.ـ وـسـخـرـوـاـ أـبـحـاثـهـمـ لـلـجـهـازـ الـاسـتـعـمـارـيـ الإـسـپـانـيـ.ـ لـكـنـ الصـدـمةـ كـانـتـ مـدـوـيـةـ فـيـ مـجـمـلـ تـقـارـيرـ هـوـلـاءـ،ـ نـظـرـاـ لـأـنـ الـمـنـطـقـةـ لـمـ تـكـنـ بـذـلـكـ الزـخمـ الـذـيـ روـجـ حـوـلـهـاـ،ـ وـالـخـيـرـاتـ السـخـيـةـ الـتـيـ بـلـوـرـتـهـاـ الـاسـطـوـغـرـافـيـةـ الـأـفـرـيـقـانـيـةـ حـوـلـ الـمـنـطـقـةـ الـشـمـالـيـةـ وـغـنـاـهـاـ مـنـ الـمـوـارـدـ الـطـبـيـعـيـةـ.

وهـكـذاـ صـرـحـ فـلـوكـاسـ فـرـنـانـديـثـ نـافـارـوـ فـيـ مـقـالـ بـجـرـيدـةـ "ـإـسـپـانـيـاـ"ـ فـيـ عـدـدـهـ ٣٠٣ـ فـيـ الصـادـرـ يـوـمـ ١٥ـ يـانـيـرـ ١٩٢٢ـ بـعـنـوانـ دـالـ:ـ فـقـرـ الـمـغـرـبـ يـدـحـضـ فـيـهـاـ أـفـكـارـ كـلـ دـعـاـ غـنـيـ مـنـطـقـةـ الـحـمـاـيـةـ.ـ وـأـنـهـ لـيـسـ بـتـلـكـ الغـنـيـ المـرـصـودـ حـوـلـهـاـ.ـ غـيـرـ أـنـهـ لـاـ يـقـفـ عـلـىـ هـذـاـ الـمـعـطـىـ.ـ بـلـ يـنـسـبـ ضـعـفـ اـسـتـغـلـالـ الـحـمـاـيـةـ إـلـىـ تـرـهـلـ الـجـهـازـ الـاسـتـعـمـارـيـ الإـسـپـانـيـ.ـ مـنـ يـدـافـعـونـ عـمـاـ نـفـعـلـهـ فـيـ الـمـغـرـبـ عـلـيـهـمـ أـنـ بـيـثـوـاـ عـنـ مـبـرـراتـ وـتـفـسـيرـاتـ فـيـ مـجـالـاتـ أـخـرىـ وـلـيـسـ فـيـ الـمـقـدـرـاتـ الـاقـتصـادـيـةـ الـمـنـدـعـمـةـ.ـ إـنـ الـمـغـرـبـ فـيـ شـمـولـيـتـهـ أـرـضـ يـمـكـنـ أـنـ تـحـتـويـ عـلـىـ مـؤـهـلـاتـ اـقـتصـادـيـةـ عـظـيـمةـ غـيـرـ أـنـ حـمـايـتـاـ بـكـامـلـ الصـراـحةـ بـئـيـسـةـ وـلـنـ تـجاـوزـ فـقـرـهـاـ حـتـىـ وـإـنـ رـفـعـ النـقـابـ عـنـ مـصـادـرـ ثـروـتـهـ الـمـتـوـاضـعـةـ.<sup>(٢)</sup>ـ هـذـاـ نـاهـيـكـ عـنـ الـمـقاـوـمـةـ الـتـيـ كـانـتـ ضـارـيـةـ أـطـنـابـهـاـ فـيـ سـائـرـ الـمـنـطـقـةـ الـشـمـالـيـةـ،ـ وـالـتـيـ صـعـبـتـ مـنـ مـأـمـورـيـةـ اـسـتـغـلـالـ الـمـنـطـقـةـ الـخـلـيـفـيـةـ بـوـجـهـ عـامـ وـمـنـطـقـةـ الـلـوـكـوسـ عـلـىـ وـجـهـ التـحـديـ.

على المنطقة الشمالية وتقديم نصر موعود للأمة الإسبانية يعيد لها أمجادها الظاهرة في كوبا والفلبين. ونشطت رحلات أخرى في الصدد، وإن كانت تختلف في الظروف والمسبيـاتـ،ـ فإنـهاـ كـانـتـ تـشـرـكـ فـيـ غـاـيـةـ توـفـيرـ معـطـيـاتـ لـلـجـهـازـ الـاسـتـعـمـارـيـ<sup>(٣)</sup>ـ،ـ وـإـنـ كـانـتـ فـيـ مـعـظـمـهـاـ لـمـ تـأـتـ بـالـجـدـيـدـ مـقـارـنـةـ بـالـرـحـلـاتـ الـفـرـنـسـيـةـ الـتـيـ جـابـتـ الـأـصـقـاعـ الـمـغـرـبـيـةـ،ـ وـدرـستـهـاـ مـنـ كـافـهـ الـنـواـيـيـةـ الـقـاـفـيـةـ وـالـلـسـانـيـةـ وـالـفـكـرـيـةـ.ـ وـبـطـرـيـقـةـ عـلـمـيـةـ وـتـحـتـ إـشـرافـ مـعـاهـدـ الـدـرـاسـاتـ الـفـرـنـسـيـةـ.ـ وـانـطـلـقـاـ مـنـ ذـلـكـ وـتـقـادـيـاـ لـضـعـفـ الـمـعـرـفـةـ الـجـغـرـافـيـةـ الـمـتـسـرـبةـ مـنـ رـحـيقـ الـرـحـلـاتـ الـإـسـپـانـيـةـ وـجـهـتـ إـسـپـانـيـاـ أـنـظـارـهـاـ إـلـىـ الـجـمـعـيـاتـ الـجـغـرـافـيـةـ وـالـمـكـوـنـاتـ الـعـلـمـيـةـ،ـ وـالـمـعـاهـدـ الـطـبـيـعـيـةـ مـنـ أـجـلـ إـنـجـازـ رـسـومـ وـخـرـائـطـ وـدـرـاسـاتـ تـكـوـنـ مـدـعـمـةـ وـتـبـرـاسـ لـتـسـهـيلـ مـرـامـ التـغـلـلـ الـاسـتـعـمـارـيـ بـشـمـالـ الـمـغـرـبـ،ـ وـالـهـاءـ الرـأـيـ الـعـامـ الـإـسـپـانـيـ عـلـىـ مـشـاكـلـهـ الـدـاخـلـيـةـ الـمـسـتـعـصـيـةـ.ـ وـهـكـذـاـ نـشـطـتـ مـعـاهـدـ جـغـرـافـيـةـ نـشـيـطـةـ تـرـبـوـ توـفـيرـ مـعـرـفـةـ جـغـرـافـيـةـ مـلـائـمـةـ وـذـاتـ جـوـدـةـ وـغـائـيـةـ لـلـإـسـپـانـ.

## **ثـانـيـاـ:ـ مـنـطـقـةـ الـلـوـكـوسـ فـيـ صـلـبـ اـهـتمـامـاتـ الـجـمـعـيـاتـ الـجـغـرـافـيـةـ الـإـسـپـانـيـةـ**

لـقـدـ اـقـتـنـعـ إـلـيـهـ إـسـپـانـيـاـ أـنـ الـعـلـمـ الـعـسـكـريـ غـيـرـ كـافـ مـنـ أـجـلـ تـمـهـيـدـ الـمـنـطـقـةـ،ـ وـلـاـ مـنـاصـ مـنـ درـاستـهـاـ عـلـمـيـاـ،ـ تـسـهـيـلـاـ لـمـرـامـ استـغـلـالـهـاـ فـلـاحـيـاـ وـاقـتـصـاديـاـ.ـ لـقـدـ كـانـتـ مـنـطـقـةـ الـحـمـاـيـةـ الـإـسـپـانـيـةـ تـنـقـسـمـ إـلـىـ خـمـسـةـ أـقـسـامـ رـئـيـسـةـ:ـ الـكـرـتـ،ـ الـرـيفـ،ـ غـمـارـةـ،ـ جـبـالـ،ـ الـلـوـكـوسـ.ـ مـاـ مـيـزـ هـذـهـ الـجـهـةـ الـأـخـيـرـةـ هوـ مـوـقـعـهـ الـاـسـتـرـاتـيـجـيـ بـالـنـسـبـيـةـ لـلـسـلـطـاتـ الـإـسـپـانـيـةـ الـتـيـ كـانـتـ تـبـحـثـ وـبـشـكـلـ حـيـثـ عـنـ مـنـفذـ عـلـىـ الـوـاجـهـ الـبـحـرـيـ الـأـطـلـسـيـ.<sup>(٤)</sup>

كـمـ تـمـكـنـتـ إـسـپـانـيـاـ أـنـ تـنـجـزـ بـهـذـهـ الـجـهـةـ مـجـمـوـعـةـ مـنـ الـمـنـدـوـيـبـاتـ الـتـيـ اـتـخـذـتـهـاـ كـوـسـيـلـةـ لـلـتـدـخـلـ بـمـجـالـ الـمـنـطـقـةـ الـشـمـالـيـةـ،ـ مـنـ أـهـمـهـاـ:ـ مـنـدـوـيـةـ السـكـنـيـ وـمـنـدـوـيـةـ الـاـقـتصـادـ وـالـصـنـاعـةـ وـالـتـجـارـةـ وـالـتـيـ تـضـمـ مـطـالـعـ الـتـجـارـةـ وـالـمـعـادـنـ وـالـسـيـاحـةـ،ـ ثـمـ مـنـدـوـيـةـ الـتـرـيـةـ وـالـقـاـفـيـةـ وـمـنـدـوـيـةـ الـأـشـغالـ الـعـوـمـيـةـ وـالـمـوـاـصـلـاتـ وـمـنـدـوـيـةـ الـمـالـيـةـ،ـ مـاـ يـهـمـنـاـ مـعـرـفـتـهـ هـوـ أـنـ هـذـهـ الـمـنـدـوـيـبـاتـ اـعـتـيـرـتـ مـنـ الـأـدـوـاتـ الـتـيـ سـاـهـمـتـ فـيـ تـنـظـيمـ الـمـنـطـقـةـ الـخـلـيـفـيـةـ عـلـىـ الـمـسـتـوـيـ إـنـجـازـ بـعـضـ الـمـشـارـيـعـ الـاـقـتصـادـيـةـ وـالـاـجـتـمـاعـيـةـ وـالـتـجـهـيزـاتـ الـأـسـاسـيـةـ،ـ كـمـ عـرـفـتـ مـدـيـنـةـ الـعـرـائـشـ بـنـاءـ مـيـنـاءـ لـلـصـيدـ الـبـحـرـيـ حـيـثـ اـعـتـبـرـ مـنـ أـهـمـ الـمـوـانـئـ الـصـيدـ وـإـخـرـاجـ الـأـسـمـاـكـ بـمـنـطـقـةـ الـنـفـوـدـ الـإـسـپـانـيـ.<sup>(٥)</sup>

ومحيطه. حيث كانت تشكل أشجار السنط مصدراً مهمّاً للخشب والفحم وبعض المواد الكيماوية الأخرى.

**أما الثروة السمكية لنهر اللوكوس،** فكانت مياه نهر اللوكوس تحمل إلى القصر الكبير تشكيلة وافرة ومتنوعة من الأسماك، شكلت معها ثروة غنية أحد منها الإسبان الشيء الكثير، حيث تشير الروايات الشفهية أن الإسبان قضوا بشكل كلي على العديد من الأنواع بسبب الاستغلال المفرط. ومن جملة الأسماك التي كان نهر اللوكوس ينعم بها نذكر "الإنقليس" الذي كان الإسبان يقلدون عليه بكثرة، وهو عبارة عن سمكة نحيفة طويلة تُشَعِّث الشعبان إضافة إلى شبك الشبوط والشابل. وفي الحقيقة نعد دراسات وأبحاث تركز حول هذا الاستغلال ونوعيته سواء في الكتابات العربية أو نظيراتها المحبوبة بالإسبانية حسب ما اطلاعنا عليه. وتشير الجريدة الرسمية الصادرة في الرباط في ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٥٠ أن الحكومة الفرنسية استصدرت قرار يمنع البواحر الإسبانية التي تتجاوز حمولتها ٤ طنًا، مما يدل الاستغلال لهذه الثروة السمكية.<sup>(١٦)</sup>

#### جدول رقم (١)

الصيد البحري في منطقة الحماية الإسبانية سنة ١٩٥٤ م<sup>(١٧)</sup>

الصيد البحري بمنطقة الحماية الإسبانية سنة ١٩٥٤ م <sup>(١٧)</sup>	
موانئ الصيد البحري	كمية السمك المصطاد بالطن
أصيلا	١٠٨
العرائش	١٨٩٩,٧
الفنيدق	٣٣,٩
المضيق	٥٥١
مارتين	٣٣٨,٤
النااظور	١١٧,٩
الحسيمة	٣٣٦٩,٥

اعتبرت موانئ الصيد البحري في المنطقة الخليفية شمال المغرب موانئ تقليدية تجهيزاتها ضعيفة تتركز على الصيد التقليدي الساحلي، الذي كان يشغل عدداً مهماً من الساكنة. وبحكم أهمية قطاع الصيد البحري للسلطات الاستعمارية عملت على تحديث وتجهيز عدد من الموانئ كل حسب أهميتها

#### ثالثاً: إسبانيا والاستغلال الاستعماري (أرقام ومعطيات)

من أجل استغلال أمثل للموارد الطبيعية في المنطقة كان لازماً على سلطات الحماية الإسبانية التفكير في إنشاء السكة الحديدية في المنطقة، وقد عهد للمهندس لويس موراليس بتنفيذ المشروع الذي واجهته عدة عراقيل ومشاكل نظرًا لمرور الخط وسط العديد من النقط التي كانت تتعرض لهجمات من طرف حركة المقاومة في المنطقة. وقد تمكّن هذا الخط السككي حسب طوماس غرسيا فيكيراس ما بين سنتي ١٩٣٦ و ١٩٥٤ ما مجموعه ٧٨٦٠٠ مسافر، بينما سجلت نفس الفترة نقل ما مجموعه ٤٧٩٠٠ طن من البضائع جله من الموارد المعدنية المستخرجة من نطاق المنطقة.<sup>(١٨)</sup> لقد رصد الإسبان أجود الأراضي، وركزوا صلب اهتمامهم على المناطق التي تضم ثروات معدنية وطاقة، ل تقوم الإدارة الاستعمارية بتفعيل قانون نزع الملكية الذي يتم بموجبه نزع أراضي من لا يتوفر على وثائق تبرر ملكيته وهذا ما مكن السلطات الاستعمارية من وضع يدها على مساحات مهمة من الأراضي قامت بتفويتها للمعمرين الإسبان وللشركات الإسبانية التي نشطت بصفة كبرى في هذه الفترة.<sup>(١٩)</sup> ومن أهمها نذكر:

#### Compania De Industrias Corcheras De Marruecos

وتعني شركة صناعة الفلين في المغرب وتقع بتصنيعه، والتي كان مقرها في تطوان ورأسمالها يبلغ حوالي ٢ مليون بسيطة، وكانت تتحكم في حوالي ٦٤٨٣ هكتار في المناطق الجبلية لمنطقة الشمالية، حيث تستخرج منها الفلين وتقع بتصنيعه أو تصديره خاماً، وقد شكلت غابة "الخليفية"، التي كانت تمتد على حوالي على مساحة ألفين وخمسمائة هكتار بين القصر الكبير والعرائش، مصدرًا مهمًا للفلين، وكانت تشكل مصدرًا هاماً للأخشاب والفحם، كما كانت هذه الشركة تشرف على العديد من الهكتارات الغابوية في منطقة "أهل سريف" المحاذية لمنطقة القصر الكبير حيث كانت تستخرج الأخشاب والفلين والفحם.<sup>(٢٠)</sup>

#### Extractos Curtientos y Prductos Quimicos

ركزت هذه الشركة على أشجار السنط لاستخراج المواد الكيماوية هذه المواد التي كان يكلف استيرادها من طرف إسبانيا مبالغ مهمة من العملة الصعبة مما جعلها تتجه لل الاستثمار في هذه المادة بالمنطقة خاصة القصر الكبير

ونأخذ هنا مقتطف من جريدة الاتحاد التي كانت تعتبر لسان حال الحماية الإسبانية: بما أن الزراعة هي من أهم موارد ثروة هذا البلد من تربتها المجيدة فلمنتوجات هذه المنطقة توجه إسبانيا أهم اهتمامها ومزيد اهتمامها والدليل على ذلك هو التنظيم الكبير لإدارة العمل الزراعي وتعليمه على النسق الجديد والكيفية الزراعية الحديثة وتحسين الأرضي لتتجدد بالزيادة من غلاتها.<sup>(٢٩)</sup> كما عملت إسبانيا على إنشاء السكك الحديدية ومدتها بمنطقة اللوكوس حتى يسهل عليها ربط مناطق الاستخراج في منطقة التصدير:



مرور إحدى القطارات على قنطرة واد المخازن

صورة رقم (١)

ولم تكتف إسبانيا باستغلال الأراضي الزراعية والموارد الطبيعية بل عملت على فرض الضرائب المرهقة على الأراضي الزراعية، والتي ساهمت في تفجير أهل المنطقة الذين وجدوا أنفسهم عاجزين عن تأديته.<sup>(٣٠)</sup>

بالنسبة إلى الاستراتيجية الاستعمارية الإسبانية، ومن أهم الموارد التي دعمت بشكل بارز لاستغلالها ليس فحسب في الصيد العصري بل في تصدير المواد الأولية التي كانت تنبعها السلطات الاستعمارية. وهي: ميناء الحسيمة وميناء العرائش الذي نشط فيه شركات الصيد بالمزراب لصيد سمك التون.<sup>(٣١)</sup> تمكنت المؤسسات الاستعمارية الإسبانية من استغلال أنشطة الصيد البحري لفائدة المستعمر، سواء على الواجهة المتوسطية أو الأطلسية، غير أنها لم تركز على خلق مؤسسات صناعية مرتبطة بالصيد البحري يستفيد منها المغاربة، إذ اقتصر مجدها على إنشاء شركات معدودة تعمل على تصنيع سمك التون وتصديره إلى الخارج عبر ميناء بن أبي رحمة وميناء الفنيدق.<sup>(٣٢)</sup> ولا غرابة في انقراض مجموعة من الأسماك بمنطقة اللوكوس بعد أ Fowler عهد الاستعمار، نتيجة هذا الاستغلال المفرط والمبالغ فيه من طرف سلطات الحماية الإسبانية في المنطقة.

#### جدول رقم (٢)

تطور المناطق المزروعة في منطقة اللوكوس<sup>(٣٣)</sup>

السنوات	اللوكوس بالهكتار	في منطقة	المساحة بالهكتار	بالنسبة المئوية	من تربة منطقة	مجموع المساحة
١٩٤٠-١٩٣٦	٤٢٨..	٤٢٨..	٤٢٨..	٤٢٨..	٤٢٨..	٤٢٨..
١٩٤٥-١٩٤٦	٦٨٧..	٦٨٧..	٦٨٧..	٦٨٧..	٦٨٧..	٦٨٧..
١٩٤٩-١٩٤٦	٩٩٠..	٩٩٠..	٩٩٠..	٩٩٠..	٩٩٠..	٩٩٠..
١٩٥٣-١٩٥٠	١٣٣٤..	١٣٣٤..	١٣٣٤..	١٣٣٤..	١٣٣٤..	١٣٣٤..

لقد توسيعت مساحة المنطق المزروعة بمنطقة اللوكوس بشكل كبير وذلك بغية من الاستعمار الإسباني استغلال المنطقة بأكبر قدر من الإمكان، لا سيما المناطق القروية المحيطة بالمنطقة، والتي تميز بترية حصبة، وأراضي زراعية ذات جودة عالية، كما تتلقى تساقطات مطرية، ويسهل عملية سقيها من مياه نهر اللوكوس. وقد عملت إسبانيا على تشجيع الفلاحين على زرع أراضيهم، أو الاستيلاء عليها عن طريق القوة، من أجل الاستفادة من زاد خيراتها. كما لعبت الصحف دوراً ريادياً في الترويج لهذه العملية، والتنويه بالأعمال الزراعية والحضارية للدولة الإسبانية.

## خاتمة

إن وظيفة أي استعمار هي استغلال طاقات وموارد وثروات البلد المحتل، ولم تشد الدولة الإسبانية على هذا المعطى ودأبت على استغلال كافة الموارد المتاحة لها بالمنطقة الشمالية من ثروات سمكية ومعدنية وطاقة، وإذا كان الاستغلال بالمنطقة الفرنسية كتب حوله الشيء الكثير، فإن هذا الباب لم يفرد له سوى التزير القليل في المنطقة الإسبانية، وما زال في حاجة ماسة إلى التقصي والتنقيب من أجل كشف أوجه الاستغلال الإسباني للموارد الطبيعية.

إن الحماية الإسبانية كانت مسؤولة على الاستغلال المفرط في المنطقة الشمالية، خاصة في سهل اللوكوس الغني من الناحية الطبيعية مقارنة بباقي مناطق الحماية الإسبانية الضعيفة في مواردها الطبيعية ولا غرو أن هذه التفاصيل أفردناها ضمن رحاب هذا المقال سوى إشارات أولية لهذا الموضوع الثري والغني، والذي لازال في حاجة ماسة إلى البحث والتنقيب في الأرشيفات الأجنبية خاصة منها الإسبانية.

بيانات إسبانية عن كل هكتار						
	نحو	الشجر	اللواط	الشتبل	التركيبة	البراد
النحوات والمحروقات	نحو	الشجر	اللواط	الشتبل	التركيبة	البراد
٣ ٩٤٧٥ ١٦٤٢٥ ٢٢٤٧٥ ٢٩٤٢٥ ٣٥٤٧٥ ٤٢٤٢٥ ٤٨٤٧٥	نحو	الشجر	اللواط	الشتبل	التركيبة	البراد
٤ ٧٤٨٠ ١٣٤٠٠ ١٨٤٢٠ ٢٣٤٤٠ ٢٨٤٦٠ ٣٣٤٨٠ ٣٩٤٠٠						
٢ ٧٤٢٠ ١٢٤٠٠ ١٦٤٨٠ ٢١٤٦٠ ٢٦٤٤٠ ٣١٤٢٠ ٣٦٤٠٠						
٣ ٨٤٧٠ ١٤٤٥٠ ٢٠٤٣٠ ٢٦٤١٠ ٣١٤٩٠ ٣٧٤٧٠ ٤٣٤٥٠						
٣ ٧٤٨٠ ١٣٤٠٠ ١٨٤٢٠ ٢٣٤٤٠ ٢٨٤٦٠ ٣٣٤٨٠ ٩٤٣٠						
٣ ١١٤٢٥ ١٨٤٧٥ ٢٦٤٢٥ ٣٣٤٧٥ ٤١٤٢٥ ٤٨٤٧٥ ٥٦٤٢٥						
٤ ٦٤٧٥ ١١٤٢٥ ١٥٤٧٥ ٢٠٤٢٥ ٢٤٤٧٥ ٢٩٤٢٥ ٣٣٤٧٥						
٤ ٨٤٧٠ ١٤٤٥٠ ٢٠٤٣٠ ٢٦٤١٠ ٣١٤٩٠ ٣٧٤٧٠ ٤٣٤٥٠						
٤ ٨٤٢٥ ١٣٤٧٥ ١٩٤٢٥ ٢٤٤٧٥ ٣٠٤٢٥ ٣٥٤٧٥ ٤١٤٢٥						
٤ ٧٤٢٠ ١٢٤٠٠ ١٦٤٨٠ ٢١٤٦٠ ٢٦٤٤٠ ٣١٤٢٠ ٣٦٤٠٠						
٤ ١٢٤٠٠ ٢٠٤٠٠ ٢٨٤٠٠ ٣٦٤٠٠ ٤٤٤٠٠ ٥٢٤٠٠ ٦٠٤٠٠						
٤ ١٣٤٥٠ ٢٢٤٥٠ ٣١٤٥٠ ٤٠٤٥٠ ٤٩٤٥٠ ٥٨٤٥٠ ٦٧٤٥٠						
٤ ٦٤٧٥ ١١٤٢٥ ١٥٤٧٥ ٢٠٤٢٥ ٢٤٤٧٥ ٢٩٤٢٥ ٣٣٤٧٥						
٤ ١٠٤٥٠ ١٧٤٥٠ ٢٤٤٥٠ ٣١٤٥٠ ٣٨٤٥٠ ٤٥٤٥٠ ٥٢٤٥٠						

ووجب التأكيد أخيراً أن إسبانيا لم تجد في منطقة اللوكوس تلك المنطقة الموعودة بالاستغلال والاستفادة، على غرار المنطقة الشمالية برمتها، وإن كان سهل اللوكوس أكثر غنى من المناطق الريفية ومنطقة غمارة حسب الإحصائيات الاستعمارية التي تناولت المنطقة. كما أن الألية الاستعمارية الإسبانية لم تكن بتلك القوة التي بإمكانها تأهيل المنطقة بما فيه الكفاية. فقد تذمرت إسبانيا من هذا الاستعمار، وتکبدت هزائم نكراء حتى خرجت عدة أفلام إسبانية على مختلف المنايا، تتحدث عن المنطقة، تكونها صغيرة المساحة ويصعب استغلالها بشرياً وطبيعياً، وإلقاء اللوم على فرنسا التي احتكرت اللحم المغربي ورممت بالعظم لإسبانيا<sup>(٣)</sup>، التي قدمت تضحيات بشرية ومالية كبيرة من أجل أداء تلك الرسالة البليدة، ألا وهي الحماية الإسبانية. إن المغامرة الاستعمارية الإسبانية التي كانت تحلم باستغلال الموارد الطبيعية بالمنطقة الشمالية، لم تجد سوى أرض قليلة لاستغلالها، وثروة يسير من أجل الاستفادة منها، عملت على استغافلها بطريقة مفرطة كان لها نتائج وخيمة على منطقة الشمال برمتها بعد أفال عهد الحماية وبنزوح عهد الاستعمار.

الهَوَامِشُ:

- (٩) علي بولريج، **السياسة التربوية للسلطات الاستعمارية الإسبانية شمال المغرب (١٩٥٦-١٩١٢)**، تطوان، مطبعة الهدایة، ٢٠١٠.

(١٠) المرجع نفسه، ص. ٥١. وأيضاً انظر: المختار الهراس: القبيلة والسلطة تطور البنية الاجتماعية في شمال المغرب.

(١١) بيرنابي لوبيث غارسيا، **المغرب وإسبانيا تاريخ ضد كل منطقة**، ترجمة محمد المساري، منشورات ليتوغراف، الطبعة الأولى، ٢٠١٢، ص. ١٣٢.

(١٢) المرجع نفسه، ص. ١١٧.

(13) Tomas Garcia Figuras. *Espana y su Protectorado en Marruecos; Instituto de Estudios Africanos*. Madrid, 1949. p.117.

(١٤) سعيد حاجي، **القصر الكبير خلال مرحلة الحماية (١٩٥٦-١٩١٢)**، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، ٢٠١٦، ص. ٩٦.

(١٥) المرجع نفسه، ص. ٢٠٤.

(١٦) طوماس راميريث أوطيث، **القصر الكبير تاريخ مغربي صغير**، تعریب عبد الرحيم الشاوش، مراجعة محمد أخريف، منشورات جمعية البحث التاريخي والاجتماعي بالقصر الكبير، ٢٠١٢، ص. ٤٩.

(١٧) علي بولريج، **السياسة التربوية للسلطات الاستعمارية الإسبانية بشمال المغرب (١٩٥٦-١٩١٢)**. مرجع سابق، ص ١٠١-١٠٢.

(١٨) المرجع نفسه، ص. ١٠٣.

(١٩) عبد الرحيم برادة، **إسبانيا والمنطقة الشمالية المغربية**، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الجزء الثاني، ٦، ٢٠٠٣، ص. ١٨٣.

(20) Ben Attou, Mohammed, *Le protectorat espagnol et le Nord marocain: organisation administrative et stratégie socio-économique : le cas du Bas-Loukkos, Lucus; Dirassat*. - N° 11, 2003,. - Agadir: Faculté des lettres et des sciences humaines, 2003. p.74.

(٢١) كاتب مجهول، "عمل إسبانيا التحضيري في المغرب النبر الامتحاني الزراعي بالعرائش"، جريدة الاتحاد، العدد ٦، صفر سنة ١٣٤٦.

(٢٢) الجريدة الرسمية لمنطقة حماية إسبانيا بالمغرب، تطوان ٧ شعبان عام ١٤٣٦هـ / ٣١ غشت سنة ١٩٤١، العدد ٢٤، ص. ١٣.

(٢٣) عبد الرحيم برادة، **الحماية الإسبانية على شمال المغرب ومسؤولياتها في بروز المشاكل الاقتصادية بالمنطقة**، مجلة أهل، العدد ٤٣، خريف ٢٠١٤، ص. ٩٥.

(٢٤) لم تفرد لمنطقة الخليفة دراسات ذات بال حول الاستغلال الاستعماري إلا لاماً وعراً، بينما أخذت فرنسا دراسات ثرة وغنية في هذا الصدد. ومن هذه الدراسات ذكر: جمال الدين، **الاستيطان الزراعي بإقليم مكناس: نماذج من التقنيات الاستعماري**: ضمن (أهل: التاريخ، الثقافة، المجتمع) - ع. ٣٨، ٣٨، ص. ١٤١-١٤٠، جلال زين العابدين، **الاستيطان الأوروبي في المغرب على عهد الحماية الفرنسية وانعكاساته الاجتماعية**، مجلة دراسات استشرافية، العدد ١٦، ٢٠٠٨، ص. ٩٣-٩٤، أحمد تافسكا، **الفلاحة الكولونيالية في المغرب (١٩٥٦-١٩١٢)**، مطبع أميرالي، الرباط، ١٩٩٨. كما عملت فرنسا على إصدار مجلات في هذا الصدد أهمها:

Bulletin des Colons: revue de défense des intérêts de l'agriculture au Maroc/ La Chronique des Mines Coloniales- Le Cheminot marocain

(٢٥) ومن الدراسات القليلة التي تناولت الاستغلال الاستعماري في المنطقة الشمالية ذكر:

  - Ben Attou, Mohammed, *Le protectorat espagnol et le Nord marocain: organisation administrative et stratégie socio-économique: le cas du Bas-Loukkos, Lucus; Dirassat*.
  - N° 11, 2003,. - Agadir: Faculté des lettres et des sciences humaines, 2003. p. 41-107, Romero Vicente: *Las minas del Rif y Melilla, 1916: las vetas de una mirada centenaria*, Melilla : Consejería de Cultura, Servicio de Publicaciones.

(٢٦) علي بولريج، **الخطاب الاستعماري الإسباني حول شمال المغرب (١٨٥٠-١٩٥٠)**: إشكالات أولية، مجلة المناهل، العدد ٨٩-٩٠، رجب ١٤٣٢ يونيو ٢٠١١، ص. ٨٨.

(٢٧) عبد الرحيم برادة، **إسبانيا والمنطقة الشمالية المغربية ١٩٣١-١٩٥٦**. الجزء الأول، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٧، ص. ٩٩.

(٢٨) علي باي، ضمونينغو فرانتسكو بادي، **رحلات عبر المغرب**، ترجمة مزوار الإدريسي، منشورات ليتوغراف، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، ص. ٦.

(٢٩) محمد المرجان، **الرحلة والمعرفة الكولونيالية: المغرب بعيون الرحالة الإسبان خلال القرن التاسع عشر ميلادي**، دار أبي رقراق للنشر والتوزيع، ٢٠١٦، ص. ٤٥.

(٣٠) تيار ايديلوجي بُرِز في إسبانيا خلال القرن التاسع عشر، كان يربو نشر الحضارة الإسبانية في المناطق الأفريقية، خاصة منها المغرب وغينيا، وعمل على نشر أفكار تبشر بتفوق العنصر الإسباني، وضرورة نشر حضارته في هذه الأصقاع البدائية.

(٣١) ذكر في هذا الصدد Jose Maria de Murga ;Recuerdos Marroquies del Moro Vizcaino ;Puerto Aguirre ;Expedicion en el Riff ;Manuel Liana y Otriso Rodriguez ;El imperio de Marrucos....